



مجلس الشورى الإسلامي

المكتب الدعوي

سلسلة مطويات هيئة الشام الإسلامية (٤)

الإسلام دين الوسطية

إعداد / د. عماد الدين خيتي

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

الإسلام دين الوسطية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد خَلَقَ اللهُ الخلقَ لِيَعْبُدُوهُ، وأرسلَ إليهم الرسلَ لهدايتهم إلى الطريقِ القويمِ، وشرَعَ لهم شرائعَ فيها صلاحهم وفلاحهم.
ثم إنَّ اللهُ -تعالى- ختم الشرائعَ بشريعةِ الإسلامِ، فجاءت على أكملِ نظامٍ، وأحسنِ إنقافٍ، فهي الشريعةُ التي ارتضاها للبشرية، وجعلها صالحَةً لهم في كلِّ زمانٍ ومكان، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهي الشريعةُ المصدَّقةُ للشرائعِ السابقة، والشَّاهدةُ على أنَّها من عندِ الله -تعالى- قبل أن يدخلها التَّحريفُ، والحاكمةُ عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وبها رَفَعَ اللهُ كثيراً من الأغلالِ والأثقالِ التي كانت عليها، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
فكانَ من سِماتِ هذهِ الشريعةِ التَّيسيرُ ورفعُ الحرجِ، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وقال: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].
والحرجُ: الضيقُ والمشقةُ والإثمُ.

ولهذا فإنَّ أمةَ الإسلامِ المتمسكةَ بهذا الدِّينِ القويمِ والشريعةِ السمحةِ هم خيرُ أمةٍ أُخرجت للناسِ، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولخيريتهم وصَفَهُم اللهُ بأنَّهم أمةٌ وسطٌ، وجعلهم شهداءَ على الناسِ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

معنى الوسطية:

الوسطُ ما يكونُ بين طرفين، ووسطُ الشيء أفضلُه، لذا أُطلق الوسط على العدالة والفضل والخيرية.

قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة: «أَي: إِمَّا جَعَلْنَاكُمْ هَكَذَا أُمَّةً وَسَطًا، عُدُولًا، خِيَارًا، مَشْهُودًا بَعْدَ تِكُّمٍ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ، لِتَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ».

فَوْسَطِيَّةُ الْإِسْلَامِ لَهَا مَعْنِيَانِ:

- العدالة والخيرية، والعدالة تعني الإنصاف وعدم الظلم.

- الاعتدال والتوسط في الأمور بين الغلو والجفاء، وبين التفریط والإفراط. ولذلك فإنَّ المسلمَ يسألُ الله الهدايةَ إلى هذه الوسطيةِ في كلِّ ركعةٍ من ركعاتِ صلاته حين يقرأ الفاتحةَ بهذا الدعاء العظيم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

من جوانب الوسطية في الإسلام :

* الوسطية في التشريع:

ومن ذلك: التيسيرُ في الشرائع المفروضة، قَالَ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَكَانَ يُشَادُّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ) رواه البخاري.

قال ابن تيمية: «وَأَيْضًا فَإِنَّ أَصُولَ الشَّرِيعَةِ تَفَرُّقٌ فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهَا بَيْنَ الْقَادِرِ وَالْعَاجِزِ، وَالْمُفْرَطِ وَالْمُعْتَدِي، وَمَنْ لَيْسَ بِمُفْرَطٍ وَلَا مُعْتَدٍ. وَالتَّفَرِيقُ بَيْنَهُمَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مُعْتَمَدٌ، وَهُوَ الْوَسْطُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْوَسْطُ، وَبِهِ يَظْهَرُ الْعَدْلُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْمُتَبَايِنَيْنِ .

* الوسطية في العقيدة:

الإسلامُ وسطٌ بين الإلحاد الذي لا يؤمن بدين، وبين الأديان المليئة بالخرافات والتناقضات.

ووسطٌ بين من يؤمن بالعقل وحده مصدرًا للمعرفة، ومن ينكر قيمة العقل مطلقاً، فهو يقوم على العقل والفطرة السليمة، ويعتمد على النقل الصحيح.

وعقيدة الإسلام تدعو إلى الإيمان بالله تعالى، وأن يُعبد وحده، وأن تُصرف له جميع أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾

[آل عمران: ٦٤].

والاستعانة بالله، والتوكُّل عليه، ومحبتِه، وخشيته، والرَّغبة فيما عنده. وأن يُتَّبَع رسولُه صلى الله عليه وسلم، فلا يُعبد الله إلا بما شرَّعه رسولُه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

* الوسطية في العبادات:

الإسلام وسطٌ بين شطحات الأديان التي تُعذِّبُ الأجسادَ، وتَنقَطِعُ للعبادة، وبين الماديَّة التي تُلغي الرُّوح، وتُخضع الإنسان للشهوات وتجاهل الآخرة. ونهى عن الرهبانية والابتداع، وحذَّر من التَّقصير في الواجبات، وفعل المنكرات.

والإسلام يُرِيّ المسلم على القيام بالفرائض، ويحثُّه على المداومة على النوافل، ودوام الارتباط بالله -تعالى- على جميع الأحوال، بالأقوال والأفعال.

كما أنَّ عبادات الإسلام تقوم على أساس الإتيان بها على قَدْر الوُسع والطاقة، فلا تُكَلِّفُ العبادَ ما ليسَ في وسعهم ومقدورهم، قال صلى الله عليه وسلم: (فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ) متفق عليه. وقال: (صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ) رواه البخاري.

* الوسطية في الدعوة إلى الإسلام:

جاء الإسلام رحمةً للعالمين لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ربِّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وإذا عَلِمَ الناس ما في الإسلام من الوَسْطِيَّة والاعتدال رغبوا فيه، وآثروه على غيره، وهو الأمر الذي أدخل كثيرًا من الناس في الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وحيثما وجّه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- رُسلَهُ لتبليغِ دعوةِ الإسلامِ، أَمَرَهُمُ بِالْمَنْهَجِ الْوَسْطِيِّ فِي الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنهما- لَمَّا بَعَثَهُمَا إِلَى الْيَمَنِ: (يَسِّرَا وَلَا تَعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تَنْفُرَا) رواه

البخاري ومسلم.

كما أَوْجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْحِكْمَةِ، وَحَسَبَ الْإِسْتِطَاعَةَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) رواه مسلم.

* الوُسطِيَّةُ فِي الْمَعَامَلَاتِ:

رَاعَى الْإِسْلَامُ إِنْسَانِيَّةَ الْإِنْسَانِ، فَوَازَنَ بَيْنَ حَقُوقِهِ وَوَجِبَاتِهِ، دُونَ مِيلٍ لَطَرْفٍ عَلَى حِسَابِ الْآخِرِ، فَهُوَ قَائِمٌ عَلَى أُسَاسِ إِعْطَاءِ كُلِّ شَخْصٍ حَقَّهُ، وَالْمُوَازَنَةَ بَيْنَ مَصَالِحِ الْفَرْدِ وَمَصَالِحِ الْجَمَاعَةِ، دُونَ ظَلْمٍ لِفَرِيْقٍ عَلَى حِسَابِ فَرِيْقٍ آخَرَ.

* وَفِي الْمَعَامَلَاتِ الْمَالِيَةِ:

جَعَلَ الْإِسْلَامُ أُسَاسَ الْمَعَامَلَاتِ الْإِبَاحَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وَأَبَاحَ التَّعَامَلَ بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَعَامَلَاتِ، وَحَرَّمَ كُلَّ مَا فِيهِ ظَلْمٌ، أَوْ مِنْ شَأْنِهِ إِثَارَةُ الْأَحْقَادِ بَيْنَ النَّاسِ، كَالتَّعَامَلِ بِالرِّبَا، وَتَطْفِيفِ الْمِيزَانِ، وَالغِشِّ.

وَفِي وَجُوبِ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الْعَمَلِ وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ، قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

* الْوُسطِيَّةُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

أَبَاحَ الْإِسْلَامُ التَّمَتُّعَ بِمَا أَبَاحَهُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَعِ وَالرِّزْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال صلى الله عليه وسلم لمن أراد الانقطاع عن متاع الدنيا: (لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي) متفق عليه، وقال: (حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ، وَالطَّيِّبَ، وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) رواه أحمد، والنسائي؛ فقد قابل زيادةً من أراد الانقطاع عن متاع الدنيا بذكر سنته القائمة على التوسط والاعتدال.

الوسطية في العلاقات الاجتماعية:

الإنسان اجتماعي بطبعه، وهو محتاج إلى غيره، لذلك فهو مأمور بمعاشرته الناس العشرة الطيبة، ومحبتهم المحبة الصادقة؛ لأنهم يكملون ذاته، ويتممون إنسانيته، وهو أيضاً يفعل معهم مثل ذلك.

فالمطلوب من المسلم أن يكون وسطياً معتدلاً في علاقاته الاجتماعية، فلا هو بالمنفرد الذي يعتزل الناس ويبتعد عنهم، ولا هو بالذي يكثر مخالطتهم حتى تضيع عليه أوقاته، فلا يتفرغ لقضاء حوائجه أو القيام بواجباته الدينية وغيرها.

ومن الوسطية: الاعتدال في محبة الآخرين أو بغضهم؛ إذ كثيراً ما تتغير الظروف وتنعكس، قال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغُضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» رواه الترمذي.

وأمر الشرع بالإحسان إلى الأسرة والأرحام والجيران والمجتمع، والحيوان والنبات، والتزاهة والعفة والصدق، وإعطاء الطريق حقه. كما أمر بالانضباط الشرعي في معاملة غير المسلمين.

فهذا هو الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة من الحمل على الوسط، من غير إفراط ولا تفريط، فمن خرج عنه فقد خرج عن قصد الشارع. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصاص: 17].

قال **الشاطبي**: «فإنَّ الخروجَ إلى الأطرافِ خارجَ عن العدل، ولا تقومُ به مصلحةُ الخلق، فإنَّ طرفَ التَّشديدِ وطرفَ الانحلالِ كلاهما مهلكة».

المرجع في معرفة الوسطية:

الوسطية الحقّة تعني التمسك بجميع تعاليم الإسلام، في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة.

وهي تقوم على علمٍ صحيحٍ راسخٍ من الكتاب والسنة، والمرجع في ذلك هم علماء الأمة؛ فهم الأمانة على الدين، وحملة العلم إلى من بعدهم، وهم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، بهم ينتشر العلم، ويزول الجهل، فهم كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم: **(وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)** رواه أبو داود، والترمذي، وابن

ماجه، وأحمد.

وهم الذين أمرنا بالرجوع إليهم وسؤالهم في المدلهمات والخطوب، قال تعالى: **﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: ٤٣].

فإن في الرجوع إلى غير أهل الذكر ضللاً وانحرافاً، قال ابن رجب: **«وَمَا دَامَ الْعِلْمُ بَاقِيًا فِي الْأَرْضِ، فَالنَّاسُ فِي هُدًى، وَبَقَاءُ الْعِلْمِ بَقَاءُ حَمَلَتِهِ، فَإِذَا ذَهَبَ حَمَلَتُهُ وَمَنْ يَقُومُ بِهِ، وَقَعَ النَّاسُ فِي الضَّلَالِ»**.

وقد دلنا الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الطريق للتمسك بهذه الوسطية، فقال عن منهج الفرقة الناجية من الضلال ومن عذاب الله في الآخرة: **(مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)** رواه الترمذي.

كما حث على التمسك بما كان عليه خير القرون، فقال: **(فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، مَمْسُكُوا بِهَا وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ)** رواه أبو داود، والترمذي.

فأمر بالتمسك بسنته، كما أمر بالتمسك بسنة خلفائه، وأخبر أن ما خرج عن هذا فهو محدثٌ وبدعةٌ وضلالةٌ.

ولا شك أن الصحابة -رضي الله عنهم- هم أهدى الناس، وهم أعلم الناس بدين الله تعالى؛ لذا أمر تعالى بالافتداء بهم واتباعهم، قال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٠].

مفاهيم خاطئة في الوسطية:

الوسطية لا تعني التخلي عن ثواب الإسلام، أو التهاون في فعل الطاعات، أو اقرار المعاصي والمحرمات، بحجة عدم التشدد في الدين، فعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: (مَا خَيْرَ رَسُولٍ لَلَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِيمًا، فَإِنْ كَانَ إِيمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ) متفق عليه.

كما لا تعني العمل بجزء من الدين، أو التهاون في فعل بعض المحرمات، قال تعالى: ﴿أَفْتُمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]. فوسطية الإسلام وتيسيره بما جاءت به الشريعة، لا بما ابتدعه الناس بأهوائهم وآرائهم، أو خطيئهم وجهلهم.

ووسطية الإسلام ليست مجرد موقف بين الإفراط والتفريط، والغلو والتساهل، بل هي منهج فكري، وموقف أخلاقي وسلوكي، وهي تحرر متواصل للصواب في التوجهات والاختيارات.

نسأله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يرزقنا حسن العمل والافتداء، والحمد لله رب العالمين.



هدية الإسلام هدية

www.islamicsham.org

contact@islamicsham.org

[f](https://www.facebook.com/islamicsham) [t](https://twitter.com/islamicsham) [y](https://www.youtube.com/channel/UC...) /islamicsham